

مجلـــــــــــة

آداب الرافدين

علميّــــة محكّمـــــة

فصليـّـــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: السابع والسبعون

السنـــة: التاسعة والأَربعون

الموصـــــــل

١٤٤٠هـــ / ٢٠١٩م

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

الرمز الدولي : ISSN 0378- 2887



آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية

باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: السابع والسبعون (نيسان/ أيّار/ حزيران لسنة ٢٠١٩) السنة: التاسعة والأربعون

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد .
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة .

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــــات

النشاط التجاري للإمارات الروسية

حتى منتصف القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي

أ.م د. عماد كامل مرعي *

تأريخ التقديم: ٢٠١٨/٩/٢٣ تأريخ القبول: ٢٠١٨/١٠/٢٢

ملخص البحث

حفلت احداث التاريخ بتحرك شعوب وجماعات نزحت من مواطنها الاصلية الى مناطق جديدة استقرت فيها، جاعلة منها وطنا وحملت معها مقومات حياتها الاولى، فاحتفظت بما ينفعها في حياتها الجديدة واكتسبت في الوقت نفسه لما وجدته صالحا للبقاء والتطور من مقومات حضارة البلاد الجديدة التي استقرت فيها، نذكر من هذه التحركات نزوح الشعوب التي تكون منها شعب الروس في المصطلح الوسيط والحديث، من مواطنها الاصلية في اقصى شمال المعمورة (السويد حاليا وما جاورها) الى مناطق نهر الدون والدنيبر والسهوب الروسية في اوربا الشرقية، ثم بدأوا يتسربون الى الممالك المجاورة لهم فاذابوها مكونين دولة تعاظم شأنها في القرون الوسطى.

لم تعدو في طور تكوينها الا عبارة عن مراكز تجارية صغيرة، ثم توحدت وكونت امارات صغيرة ابرزها امارة نوفغورد وامارة كييف ثم توحدت ودانت بالولاء لامير كييف مكونة شعبا ووطنا واحدا، وبدأ امرائها يتبعون سياسة توسعية على حساب الشعوب المجاورة الى ان اصبحوا دولة كبيرة، فهي من المواضيع المهمة التي تقدم لنا تفسيرا للكثير من الاحداث التاريخية وعلى كافة الاصعدة اذا ما درست، وخاصة بالامور التي جرت على الدول المتاخمة للروس.

تقدم صفحات هذا البحث محاولة لدراسة بداية ظهور الروس واصولهم وما في مناطق سكناهم من مظاهر جغرافية بشكل مختصر، ثم التركيز على نشاطهم التجاري مع العالم، ولا يعني هذا البحث دراسة اوضاع الشعوب التي جاورتهم كالبيزنطيين والخزر والبلغار والبشناق والمجر والمسلمين، الا بما يتصل بهذا الغرض وحده.

---

* قسم التاريخ / كلية الآداب / جامعة الموصل .

اصل الروس

ان الشعب الروسي هو الاساس في تحديد الدولة، واما رقعة الارض فتالية وكذلك الحدود، توكد الروايات التاريخية ان الشعب الروسي قد تكون من عناصر عرقية عديدة طغى عليها اسم الروس، تمثلت بالقبائل التي هاجرت من اقصى شمال المعمورة الى الارض التي نشات عليها دولة الروس، وبما موجود في هذه الارض اصلا من قبائل صقلبية وسلافية.

انطلق المورخون للوصول الى معرفة اصل الروس من خلال التسمية فيذكرون ان تسمية الروس كانت تطلق على اهل الشمال النورمان الذين يطلق عليهم الفايكنج، وخاصة الفرع السويدي منهم حيث كان الفلنديين يطلقون على السويديين اسم ريوتسي او روتس، حيث اشتقت منه لفظة روس(١). وهذا راي المدرسة النورمانية.

اي ان الكلمة من اصل اسكندنافي، وانتقلت الى السلاف السكان المحليين للاراضي التي اقيمت عليها الدولة الروسية وهي تعني المهاجرين من وراء البحار، او اصحاب المجاديف ويفترض اصحاب هذا الاتجاه بان اصل الكلمة سلافي، تعود على صفة هؤلاء المهاجرين التي تشير الى الحمرة في الشعر والجلد(٢)، لكن هذه الصفة كانت تنطبق على السكان الاصليين الصقالبة والذين اشتهر عنهم الحمرة.

اما المصادر العربية فقد دعتهم بالروس او الروسية(٣)، ويذكر المسعودي ان الروم كانوا يسمونهم روسيا بمعنى الحمر(٤)،في حين يذكر الاصطخري ان كلمة الروس هي للمملكة لا للمدينة ولا للسكان(١)، مشيرا بذلك الى نشوء الامارات او الممالك الروسية.

---

(١) الدوري، عبد العزيز، الجغرافيون العرب وروسيا، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، المجلد (١٣)، سنة (١٩٦٦م)، ص٧؛ الجنزوري، علية عبدالسميع، العلاقات البيزنطية الروسية في عهد الاسرة المقدونية، مكتبة الانجلو المصرية(القاهرة، ١٩٨٩م)، ص١١.

(٢) الدوري، الجغرافيون العرب وروسيا، ص٧.

(٤) ابن رستة، ابو علي احمد بن عمر(ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م)، الاعلاق النفيسة، مطبعة ابريل(ليدن، ١٨٩١م)، ص١٣٥؛ ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيدالله(ت٣٠٠هـ/٩١٢م)، المسالك والممالك، حققه: دي غويه، مطبعة ابريل(ليدن، ١٨٨٩م)، ص١٥٤؛ ابن فضلان، العباس احمد، رسالة ابن فضلان(ت٣٠٩هـ/٩٢١م)، تحقيق: سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي (دمشق، ١٩٥٩م)، ص١٤٨؛ الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر (بيروت : د/ت)، ٢/٨٣٤.

(٣) المسعودي، ابوالحسن علي بن الحسين(ت٣٤٥هـ/٩٥٦م)، التنبيه والاشراف، حققه: عبدالله اسماعيل الصاوي، المكتبة التاريخية(القاهرة، ١٩٣٨م)، ص١٢٢.

وعلى اي حال فان مسالة التسمية لم يتفق عليها وظلت موضع نقاش بين الباحثين لعدم وجود دليل قاطع، لكن المهم والواضح ان التسمية اطلقت بعد نزوح المهاجرين من البلاد الاسكندنافية الى شرق اوربا واستقرارهم مع السلاف والصقالبة وغيرهم من الاجناس السكان الاصليين للمنطقة، فاصبحت توحدهم هذه الكلمة باطلاقها عليهم جميعا.

الموقع والحدود للامارات الروسية

ان الظروف الطبيعية السائدة في المنطقة الشمالية والتي تعرف بسيبيريا قاسية، لان شتاءها طويل وبارد، اما فصل الصيف فقصير ودافئ وامطاره معتدلة(٢)، لذلك لم تشجع هذه الظروف على قيام حضارات مستقرة في العصور الوسطى المبكرة(٣)، وانما كانت محطة استقرار وقتي لجموع واجناس عديدة من البرابرة التي هاجرت من مناطقها الاصلية في اسيا الوسطى وغيرها ساعية للحصول على بيئة صالحة للعيش(٤).

اما مناطق السهوب او الاستبس التي تقع جنوب منطقة الغابات ممتدة من بحر البلطيق حتى البحر الاسود، فذات سهول واسعة وخالية من الاشجار الكثيفة، وتتسم بخصوبة التربة(٥)، واذا اتجهنا جنوبا الى المنطقة الواقعة بين البحر الاسود وبحر الخزر(قزوين)، اي مايعرف باسم القفقاس، ويسميها الجغرافيون العرب المسلمين باسم القبق او القبجق(٦) فانها

---

(٥) الاصطخري، ابو اسحق ابراهيم بن محمد (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة: محمد شفيق غربال، دار القلم (القاهرة،١٩٦١م)، ص١٣٠.

(١) جيز، هـ.ويلر واخرون، جغرافية العالم الاقليمية، اوربا والاتحاد السوفياتي، ترجمة: محمد حامد الطائي واخرون، دار مكتبة الحياة(بيروت، ١٩٥٥م)، ١/ ٢٧٧– ٢٩٦؛ ستروويف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، دار التقدم (موسكو، د / ت)، ص١٦٥– ١٦٦؛ عبدالرحمن، محمود، تاريخ القوقاز، دار النفائس(بيروت، ١٩٩٩م)، ص١٠.

(٢) العريني، السيد الباز، المغول، دار النهضة العربية(بيروت، ١٩٨٦م)، ص١٠.

(٣) فيشر، هربرت، تاريخ اوربا العصور الوسطى، دار المعارف(القاهرة، ١٩٥٧م)، ٤٠٠/٢.

(٤) جيز، جغرافية العالم، ص ٣٠٣؛ البار، محمد علي، قبل الارثوذكسية كان الاسلام في روسيا، ط١، دار كنوز المعرفة(جدة، ٢٠١٠م)، ٣٠.

(٥) المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: يوسف اسعد داغر، دار الاندلس للنشر (بيروت:١٩٦٥) ١٨٨/١؛ الغرناطي، ابو حامد الاندلسي(ت٥٦٥هـ/١١٦٩م)، تحفة الالباب، نشره وعلق عليه بالفرنسية: ص٢١٨ (Gabriel: Ferrand, Journal Asiatique (Paris, 1925.

تنحصر بين نهري ترك وكوبان شمالا، ونهري كورا وريفون جنوبا وتشمل جبال القفقاس[١]، التي تشكل فاصلا طبيعيا بين البحر الاسود وبحر قزوين.

اما شمال القفقاس فهو عبارة عن سهول متصلة بسهول نهر الدون[٢]الذي تطلق عليه المصادر الجغرافية العربية الاسلامية نهر الصقالبة، ثم اطلقوا عليه فيما بعد نهر الروس[٣]، تخللت هذه الاراضي التي ذكرناها العديد من الانهار، ويعد نهر اتل(الفولغا) اطول هذه الانهار بفرعيه نهر اوكا الايمن وكاما الايسر اللذان يصبان فيه من مبتدأ جريانه[٤]، وتحديدا من هضبة والداي حاليا[٥]، يمر اثناء جريانه بمملكة البلغار[٦] فيلتف حولها من جهة الشمال والغرب[٧]، ثم يعود الى جهة الشرق فيمر بلاد الروس ثم برطاس[٨]، الى ان يصل مدينة اتل(استراخان الحالية) الخزرية حيث يتشعب عندها النهر الى فروع عديدة تصل الى نيف وسبعين فرعا، يكون مصبها في الجهة الشمالية الغربية من بحر قزوين[٩].

ويليه في الاهمية نهر الدنيبر الذي اطلقت عليه المصادر الجغرافية العربية (دنابرس) و (دنبوس) يخرج من سمولينسك، ويلتقي في مجراه بعدة فروع منها بريسينا، ويصب في البحر

---

(٦) شاكر، محمود، قفقاسيا، مؤسسة الرسالة(بيروت، ١٩٧٢م)، ص ٩؛ البار، قبل الارثوذكسية، ص٢٣٥.

(١) ابه زاو، محمد جمال صادق، موسوعة تاريخ القفقاس والجركس، (دمشق، ١٩٩٦م)، ٢٦/١؛ عبدالرحمن، تاريخ القوقاز، ص٩.

(٢) مجهول، مؤلف(ت القرن الرابع الهجري)، حدود العالم من المشرق الى المغرب، تحقيق: يوسف الهادي، ط١، الدار الثقافية للنشر(القاهرة، ١٩٩٩م)، ص٤٠.

(٣) ستروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص ١١٨.

(٤) كريل، عبد الاله رزوقي وآخرون ،جغرافية اوربا والاتحاد السوفيتي، جامعة البصرة (البصرة، ١٩٨٩م)، ص ٣٩٧.

(٥) البلغار: جنس من الترك كان سكنهم إلى الغرب من اقليم الخزر في وادي نهر كوبان، دنلوب، د.م، تاريخ يهود الخزر، ترجمة وتقديم: سهيل زكار، دار حسان (دمشق، ١٩٩٠م)، ص٧١.

(٦) ابو الفدا، عماد الدين اسماعيل بن نور الدين علي بن محمد بن عمر(ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تقويم البلدان، عني بتصحيحه وطبعه : رينود مدرس العربية والبارون ماك كوكين، (باريس، ١٨٤٠م)، ص٦٤.

(٧) برطاس: هو اقليم يقع إلى الغرب من اقليم الخزر، يسكنه شعب تركي في بيوت من خركاهات ولبود، زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي(ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، المطبعة الشرقية(القاهرة، ١٣١٤هـ)، ص ٧٠.

(٨) الاصطخري، المسالك والممالك،ص١٣٠؛ الحموي، معجم البلدان، ٨٨/١.

الاسود بالقرب من خرسون[١]، ثم نهر (طانيس) الدون الذي ينبع من بحر ازوف ويصب بالبحر الاسود [٢]، ونهر كوبان النابع من المنحدرات الشمالية لجبل القفقاس، ويتفرع الى فرعين فرع يصب في بحر ازوف والاخر في البحر الاسود[٣]، ونهر (دنست) دنيستر وبروث ويخرجان من فاليسيا ويصبان في البحر الاسود[٤].

اما ناحية اقصى الشمال والشمال الغربي نحو بحر البلطيق فالانهار اقصر وتتجمد طيلة الشتاء، وفي الربيع وبعد ذوبان الثلج في اعلى النهر تندفع كميات كبيرة من المياه مسببة فياضانات كبيرة وفي الصيف تبقى مجاري الانهار مسدودة بفعل الجليد[٥].

ومن اهم البحيرات الروسية بحيرة لادوغا وهي اكبر بحيرات اوربا وبحيرة اونيغا وبحيرة ايلمن لادوغا[٦]، التي يصب فيها نهر فولخوف الواقعة عليه امارة نوفغورد[٧] وتتخلل هذه البحيرات مستنقعات عديدة وتنتشر سلاسل جبلية صغيرة، كتلال الطاي الواقعة الى الجنوب الشرقي من المنخفض السيبيري في نوفغورد وجبال الكاربات الواقعة الى الجنوب الغربي من السهل الروسي، ويتفرع منها عدة تلال صغيرة حتى شبه جزيرة القرم حيث سلسلة جبال بايلا، وفي الجهات الشمالية تتناثر بقع صحارى ممتدة من نهر بروث، والاقسام السفلى من مجاري الدنيستر والدنيبر والدون حتى نهر الفولغا وبحر قزوين[٨].

التاريخ السياسي للروس

---

(٩) ابن سعيد المغربي، ابوالحسن علي بن موسى(ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق: اسماعيل العربي، مطبعة المكتب التجاري(بيروت، ١٩٧٠م)، ص٢٠٣؛ الادريسي، ابي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله(ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط١، عالم الكتب(بيروت، ١٩٨٩م)، ٢/ ٩١٢-٩١٣.

(٢) ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص٨٥- ٨٦.

(١) ستروييف، جغرافية، ص ١١٦.

(٢) الادريسي ، نزهة المشتاق، ٢/ ٩٠٤؛ ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، ٢٠٢- ٢٠٣.

(٣) جيز، جغرافية العالم، ص ٣١٠.

(٤) ستروويف، جغرافية، ص٤٥.

(٥) العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية(بيروت، ١٩٨٢م)، ص٢٩٠؛ ابه زاو، موسوعة تاريخ القفقاس، ٢٦٦/١.

(٦) ستروويف، جغرافية، ص٢٣-٢٤؛ ابسيس، نوارة علي، الامارات الروسية وعلاقاتها الخارجية في العصور الوسطى، ط١، دار الكتب الوطنية(ليبيا، ٢٠٠٨م)، ص ٢٩.

تذكر الروايات التاريخية اول الاشارات التاريخية لظهور الروس على المسرح التاريخي في بداية القرون الميلادية الاولى، قادمين من اقصى شمال اوربا من شبه الجزيرة الاسكندنافية واخترقوا جبل الكاربات على شكل هجرات متتالية وكانوا يسمون في البداية الصقالبة (السلاف)(١).

واستقروا في الاراضي الممتدة من جبل الكاربات غربا الى اعالي نهري اوكا والفولغا شرقا، ومن بحر البلطيق شمالا حتى مصب نهري الدنيبر والدانوب جنوبا، ثم اخذت القبائل الصقلبية تتنقل ببضائعها التجارية في مجاري هذه الانهار، حتى وصلت شواطئ بحري ازوف والاسود وانفتحوا على مناطق السهوب الروسية(٢).

اخذت قبائل الصقالبة القاطنة حول الانهار الروسية الدنيبر والدانوب في بدايات القرن الثالث االهجري/ القرن التاسع الميلادي، تقيم لنفسها تنظيما مركزيا تحت سلطة خاقانية الخزر(٣)، التي كانت مسيطرة على كل الاراضي الواقعة مابين بحر قزوين والبحر الاسود وجنوب الانهار الروسية، في حين بدأ الفايكنج السويدين الذين اكسبوا الصقالبة وغيرهم من قبائل قاطنة حول الانهار الروسية اسم الروس، واخذوا فيما بعد يوجهون نشاطهم التوسعي صوب شرق اوربا متغلغلين في الانهار الروسية(٤).

والظاهر في الاسباب الدافعة الى هجرة هذه الاقوام من شبه جزيرة اسكندنافيا اولها الفراغ السياسي الذي كان موجودا في المناطق التي استقروا كما حددناها سابقا، وصعوبة البيئة الجغرافية المتمثلة في قلة الاراضي الزراعية وكثرة اعدادهم في هذه الجزيرة، والبرد والثلوج التي تشكل عامل طرد للسكان.

---

(٧) البكري، ابو عبيد عبدالله(ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، جغرافيا الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك،تحقيق: عبدالرحمن الحجي، ط١، دار الارشاد(بيروت، ١٩٦٨م)، ص١٧٩-١٨٠.

)٢(. Vernadsky, George, Ancient Russia, Yale univ(Press,1952), p.4-5

(٣) الخزر: اقوام تركية نزحت من اواسط اسيا، واستقرت شمال جبل القفقاس عند مصب نهر أتل (الفولغا) في بحر قزوين ومن مدنهم سمندر وخمليج وسراي واعتنقوا الديانة اليهودية، للمزيد من التفاصيل عنهم ينظر: مرعي: عماد كامل، العلاقات العربية الخزرية حتى نهاية العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى عمادة كلية الاداب، جامعة الموصل (٢٠٠٢م).

(٣) الرمزي،م.م(د.ت)، تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت،٢٠٠٢م)، ٢٠٢/١- ٢١٣.

انطلق الروس من شبه الجزيرة الاسكندنافية، وبدأوا يتوسعون في شرق اوربا، وخاصة في حوض نهر الفولغا، مستقرين مع السلاف سكان المنطقة الاصليين، واخذوا يتأثرون بهم في بدايات القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، حتى ذابوا فيهم[١].

كون الروس لهم خاقانية قبل سنة (٢٢٥هـ/٨٣٩م) في الاقسام العليا من نهر الفولغا بالقرب من بحيرة المن حتى الربع الاخير من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي مكونين امارة نوفغورد الروسية، ثم انحدروا باتجاه مدينة كييف فاصبحت عاصمة الدولة الروسية بعد اخذها من قبل الخاقان الروسي اوليك سنة (٢٦٥هـ/٨٧٨م) قامت هذه الدولة في كييف على اثر تحالف قبائل السلاف، رغم تباينها في العادات والتقاليد واللهجات، واول استعمال لاسم (الروس) كان في كييف ثم توسع هذا الاسم ليشمل شرق اوربا السلافي[٢].

توسع الروس باتجاه نهر الدون والدنيبر والفولغا، وباتجاه بحر ازوف والبحر الاسود، فاصبحت الدولة الروسية، هي الواسطة في التجارة ما بين شمال اوربا وشرقها، والبلاد الإسلامية تحت حماية مملكة الخزر في بادئ الأمر لتسيير تجارتهم، إلا انهم بعد ضعف الخزر في منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، اعتمد الروس على انفسهم، واعلنوا استقلالهم عن الخزر واتخذ اميرهم لقب خاقان، وعملوا جاهدين في السيطرة على التجارة [٣].

طرق التجارة النهرية

كان للانهار الروسية الواصلة بين بحر البلطيق والبحر الاسود وبحر قزوين وخاصة نهري الدنيبر والفولغا، دور بارز في دفع المهاجرين الروس الاوائل اي السويديين الى بناء محطات تجارية على ضفاف هذه الانهار، التي اصبحت فيما بعد مدن كبيرة شكلت نواة الكيانات السياسية الروسية والتي تطورت الى ان اصبحت مدن ذات حكومات مستقلة

---

(٤) الدوري، الجغرافيون العرب وروسيا، ص٨؛ عمران، محمود سعيد، المغول واوربا، (الاسكندرية، ١٩٩٧م) ، ص١٦٩.

(١) الدوري، الجغرافيون العرب، ص٨-٩؛ الجوهري، يسرى عبدالرازق، الكشوف الجغرافية دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور الفكر الجغرافي، دار النهضة العربية(بيروت،١٩٨٤م)، ص١١٠-١١١؛ ابه زاو، موسوعة تاريخ القفقاس، ٢٦٦/١؛ البار، قبل الارثوذكسية، ص٦١.

(٣) عمران، المغول، ص١٦٦- ١٦٧.

ومتاجر ضخمة، بسبب انسياح الصقالبة الى وديان نهر الدانوب، ومنه الى جبال الكاربات، وعملت بالتجارة مع السويديين في السلع التجارية المختلفة كالفراء والعسل وشمع العسل(١).

وساهم نهري الدونتز والدون بتدفق التجارة، وتاسست على ضفافهما مواقع تجارية دائمة، ارتبطت بالتجارة مع الدولة البيزنطية والدولة الاسلامية في بغداد(٢)، وقد شكلت هذه الانهار وسيلة اتصال سريعة لنقل التجارة بين الامارات الروسية ايضا(٣).

كان لوقوع امارة كييف الروسية على نهر الدنيبر قد جعلها تتطور بشكل سريع حتى اصبحت مركزا تجاريا مهما في اوربا الشرقية كان يدر دخلا ماديا كبيرا للامارة(٤)، اما امارة نوفغورد الواقعة في الشمال الغربي من روسيا على ضفة نهر فولخوف بالقرب من بحيرة المن، الامر الذي جعل موقعها متوسطا، ساعد على نشاة تجارة داخلية وخارجية اوصلتها الى مصاف المراكز الشرقية للتجارة، فقد كانت هذه الامارة تتاجر مع امارة كييف والدولة البيزنطية عن طريق نهر الدنيبر، ومع الخزر والمسلمين عن طريق نهر الفولغا، وقد امتد سلطانها من بسكوف غربا الى المحيط المنجمد الشمالي(٥)، ومدينة بولومسك الواقعة بالقرب من نهر دوينا ومدينة فيشيك وسمولينسك الواقعة قرب اعالي مياه الدنيبر ومدن اخرى كانت لاتعدو بداية عن كونها حصونا عسكرية، ثم لم تلبث ان اصبحت مراكز تجارية وحرفية لتصريف التجارة(٦).

اما عن طريق سير القوافل التجارية فتسير السفن محملة بالسلع التجارية باتجاه الدولة البيزنطية مجتازة الشلالات الى السواحل الشمالية للبحر الاسود حيث يتلقاها ارباب السفن البيزنطية(٧)، الا ان هذه الرحلة تحفها مخاطر عديدة في الطريق منها الشلالات وعوائق

---

(٣) فشر، تاريخ العصور الوسطى، ٢/٤٠٢؛ لومبار، موريس، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى، ترجمة: عبدالرحمن حميدة، دار الفكر(دمشق، د.ت)، ص ٢٩٩-٣٠٣.

(4) Vernadsky, G, history of Russia, London, Oxford(press, 1954), p.30؛

ابه زاو، موسوعة تاريخ القفقاس، ص٢٧٤.

(٣) Vernadsky, Ancient Russia, p.7.

(٦) حسين، حسن عبدالوهاب، معالم التاريخ الاوربي الوسيط، دار المعرفة الجامعية(الاسكندرية، ١٩٩٩م)، ص٢٥٦.

(١) ديورانت،ول، قصة الحضارة، ط٢، لجنة التاليف والترجمة(القاهرة، ١٩٦٥م)، ١٤/١٥٦؛ لومبار، الجغرافية التاريخية، ص٣٠٢.

(٦) Vernadsky, history, p. 30.

(٣) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص١٤٠-١٤١.

نهرية لا يستطيعون اجتيازها الا اذا حملوا سفنهم على اكتافهم وعبروا بها النهر، بسبب ضيق النهر في مناطق عديدة ووجود الصخور التي توذي السفن فيما لو ارتطمت بها، لذلك لا يخاطر الروس بالابحار وسطها، فينزل الرجال من سفنهم ويتركون بضائعهم بداخلها ثم يقومون بسحبها حتى يتجنبوا اصطدام قاع السفينة بالصخور، ويضاف الى تلك المخاطر وجود قبائل البجناك التركية على هذا النهر التي تعيق الروس في الوصول الى البحر الاسود عن طريق مهاجمة قوافلهم، فعند وصول الروس الى مناطق البجناك يقومون بانزال رجال مسلحين عند مقدمة السفن ووسطها والباقي عند المؤخرة لحماية الاسطول التجاري من هجماتهم، وبكل هذا الحرص والحذر ينجح الروس في عبور نهر النيبر[١].

فتكون لهم وقفة للاستراحة عند مصبات نهر الدنيبر عند جزيرة القديس ايثورس يجهزوا بها السفن بالاشرعة، ومن ثم يبحرون غربا على طول الساحل الشمالي للبحر الاسود الى مصبات الدنيستر، وبعد استراحة قليلة يبحرون على دلتا نهر الدانوب ويستمرون نحو كونستانتا وفارنا وميسمبريا[٢]، وتكون القسطنطينية نهاية المطاف لتلك الرحلة الطويلة المحفوفة بالمخاطر[٣].

وبسبب هذه المخاطر على نهر الدنيبر من شلالات وصخور وعدم وجود حماية من قبل دولة قوية تتكفل بحمايته من هجمات القبائل التركية، كان اقل اهمية من نهر الفولغا في مجال التجارة فقد كانت دولة الخزر مسؤولة عن حماية التجارة في هذا النهر الذي يمتد طريق التجارة فيه من جزر بحر البلطيق الى خليج فنلندا ثم يتخذ التجار طريق نهر نيقا الى الشواطئ الجنوبية لبحيرة لادوغا ثم يتجهون جنوبا الى موقع مدينة نوفغورد، ويتاجر الروس مع الخزر عن طريق الفولغا اما بالسفن او بواسطة القوافل التي تسير بمحاذاة النهر[٤]، الى

---

(٤) بروفيروجينتيوس، قسطنطين، ادارة الامبراطورية البيزنطية، تحقيق:محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية(بيروت، ١٩٨٠)، ص٦١– ٦٤.

(٥) ابسيس، الامارات الروسية، ص١٨٨.

(٦) الجنزوري، العلاقات البيزنطية الروسية، ص٥٨.

(١) ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص١٤١؛ العريني، السيد الباز، الحضارة والنظم الاوربية، دار النهضة العربية(بيروت، ١٩٨٨م)، ص١٠٠.

ان ترسي سفنهم في مدينة أتل الخزرية الواقعة عند مصب نهر الفولغا في بحر قزوين فيبنون بيوتا كبيرة من الخشب يجتمعوا فيها الى ان ينتهي عملهم فيعودون(١).

ونتيجة للمخاطر التي تحف نهري الدون والدنيبر فقد اضمحلت التجارة فيهما بعد سنة (٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، فاوجد الروس طرقا جديدة لغرض استمرار التجارة مع العالم الخارجي، حيث كان التجار الاسكندنافيون القريبون من بحيرة لادوغا، يذهبون الى بحر البلطيق للتجارة عن طريق المجرى الاعلى لنهر الفولغا ثم يتجهون غربا الى جزيرة جتلندة في البلطيق، ثم يعودون عن طريق المجرى الجديد من بحر البلطيق الى نيقا وبحيرة لادوغا، ومنها عبر نهر فولخوف الى بحيرة المن، ومن اعالي نهر الدنيبر الى البحر الاسود، واصبح هذا الطريق خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي من الطرق المهمة جدا بالنسبة للروس(٢).

اما المصادر الجغرافية العربية فتذكر معلومات مهمة ايضا عن التجارة الروسية عبر الطرق النهرية، فبينوا ان الروس كانوا ياتون الى البحر الرومي(البحر الاسود) ثم الى نهر الصقالبة(الدون) ومنه الى الى نهر أتل(الفولغا) ويصلون الى مدينة خمليج الخزرية ومنها الى بحر قزوين(٣)، والملاحظ على الروايات العربية تركيزها على النشاط التجاري الروسي بين البحر الاسود وبحر ازوف الى الفولغا وبحر قزوين(٤).

اهم السلع التجارية الروسية

تعد الجلود واهمها جلد القندس المائي الناعم والسمور السوداء، وفراء الثعالب الحمراء الفاقعة اللون وجلود المهور اللامعة(٥)، من اهم السلع التجارية الروسية وقد عبر ابن خرداذبة

---

(٢) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص١٥٤.

٢)(Vernadsky,ancient, p.283 ؛

الدوري، الجغرافيون العرب، ص٢١؛ الجوهري، الكشوف الجغرافية، ص١٠٨.

(٤) ابن خرداذبة،المسالك والممالك، ص١٥٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ٨/٢ ؛ الدمشقي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن طالب(ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (لايبزك، ١٩٢٨م)، ص ٢٦١- ٢٦٢.

(٥) الجنزوري، العلاقات البيزنطية الروسية، ص١٩٠.

(٢) هونكة، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال الاسوقي، دار الافاق الجديدة(بيروت، ١٩٨١م)، ص٢٨.

عن ذلك بان الروس يتاجرون بالفراء من جلود الثعالب السود والسيوف وجلود الخز[١]، وبين ابن رستة ان للروس سيوفا ممتازة تسمى السيوف السليمانية[٢]، واشار ابن مسكويه الى روعة هذه السيوف والى جودتها[٣].

كما تتبادل القبائل السلافية فيما بينها بالبضائع والمنتجات التي يصنعها الحرفيون عندهم، واهمها فرو السمور والسناجب، ويتبادلون الحبوب والمواشي والملح والصمغ وغيرها[٤]، ويذكر لنا الاصطخري قائمة ببضائعهم وهي فراء السمور السوداء وجلود الخز وشمع العسل والرصاص[٥]، ويضيف ابن حوقل على نفس القائمة الزئبق[٦]، ويذكر المسعودي ان معدن الفضة كثير عند الروس وكانوا يصدرونه الى الغرب[٧]، ويضيف قسطنطين بورفيروجينتوس على هذه البضائع الحرير والبهارات والخمور والفواكه[٨].

غير ان اهم تجارة كانت رائجة عندهم هي تجارة الرقيق حيث كانوا يذهبون دائما لغزو الصقالبة في السفن فيهاجمونهم ويتخذونهم اسرى[٩]، وقد كان الروس يحسنون اليهم بافضل الثياب لانهم كانوا يتعاطون تجارتهم[١٠]، ثم يبيعون الصقالبة الذين كانوا يقعون بالاسر جراء الحروب الى الخزر والبلغار الذين بدورهم كانوا يبيعونهم الى الاندلس[١١]، ومن اهم اسواق تجارة الرقيق سوق النخاسة في براغ، وسوق فردان التي كانت تمثل اكبر سوق لتجارة الرقيق ومركزا لأخصائهم، ومن بعدها يصدر الى جهتين الاولى بلاد ماوراء النهر كان يدخل اليها

---

(٢) المسالك والممالك، ص١٥٤؛ الكرديزي، ابوسعيد عبد الحي بن الضحاك(ت٤٤٣هـ/١٠٥١م)، زين الاخبار، ترجمة: عفاف السيد زيدان، ط١، المشروع القومي للترجمة(القاهرة، ٢٠٠٦م)، ص٣٩٥.

(٢) الاعلاق النفيسة، ص١٤١.

(٣) ابن مسكويه، ابوعلي احمد بن محمد(ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، تجارب الامم وتعاقب الهمم، (مصر، ١٩١٥م)، ٦٦/٢.

(٥) بيبانوف وفيدسون، تاريخ الاتحاد السوفيتي، دار التقدم(موسكو، د.ت)، ص٢٧– ٤٥.

(٦) المسالك والممالك، ص٢٢٧.

(٧) ابن حوقل، ابو القاسم(ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الارض، دار مكتبة الحياة (بيروت، ١٩٧٩م)، ص٣٣٦.

(٨) مروج الذهب، ١٥/٢.

(٩) بورفيروجنيتوس، ادارة الامبراطورية البيزنطية، ص٦٧.

(١٠) الكرديزي، زين الاخبار، ص٣٩٤–٣٩٥.

(١٠) ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص١٤٥– ١٤٦؛ الكرديزي، زين الاخبار، ٣٩٥.

(١٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٤٠.

الرقيق ومن هناك يعاد تصديره الى اسواق بغداد وغيرها في الدولة الاسلامية(١)، والثاني الى الاندلس عن طريق اسواق الرقيق الاوربية(٢).

ومن خلال استعراض هذه السلع يتبين ان الرقيق الصقلبي كان من اهم السلع التجارية التي كان يصدرها الروس الى اوربا والعالم الاسلامي في الشرق والغرب، لكونه من اجود انواع الرقيق في العالم انذاك فكان الروس يسيطرون على اكبر احتياطي من الرقيق الصقالبة وقد اشتهر ذكرهم للقارئ في كل البلاد فكانوا يستخدمون للخدمة والفلاحة والجيش وغيرها.

اما العملة النقدية التي كان يتعامل بها الروس في تجارتهم او مقايضتهم، فقد كانوا في البداية يستقبلون الفراء بدل النقد للمقايضة، ثم استعملوا قطعة فضية تسمى الغريقيا وهي عبارة عن سبيكة من الفضة تزن حوالي ٢٠٠ غرام، وفي عهد الامير اوليغ اي بعد تشكيل الامارات الروسية استخدموا عملة كانت تسمى شيلياج(٣)، وانتشر عندهم الدينار البيزنطي بسبب التعامل التجاري بين الطرفين(٤)، كما دخلت السكة الفضية للدولة الاسلامية من خلال المعاملات التجارية للروس مع المسلمين حتى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي(٥).

الصلات التجارية مع الدول المجاورة

ارتبط اغلب عالم العصور الوسطى بعامل التجارة، وقد ادت التجارة دورا كبيرا في حياة الروس فقد كانت تمثل مصدر رزقهم، وهي الدافع الاقوى للتوسع الروسي في شرق اوربا، لغرض السيطرة على شبكة الطرق التجارية في المناطق الواقعة بين البحر الاسود وبحر قزوين ونهر الفولغا واسفل الدانوب(٦)، ثم اتجهوا الى الدولة البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية وهاجموها اكثر من مرة، والظاهر انهم ارادوا بهذه الهجمات فتح طريق تجاري مع الدولة

---

(١) لومبار، موريس، الاسلام في مجده الاول من القرن الثاني الى القرن الخامس الهجري، ترجمة: اسماعيل العربي، ط٣، دار الافاق(الدار البيضاء، ١٩٩٠م)، ص٢٩٤-٢٩٥.

(٢) عاشور، ٥٣٦/١.

(٣) ابسيس، العلاقات البيزنطية الروسية، ص١٩٣.

(٤) لومبار، الاسلام في مجده الاول، ص١٧٢.

(٥) بارتولد، فاسيلي فلاديمير، تاريخ الحضارة الاسلامية، ترجمة: حمزة طاهر، ط٤، دار المعارف(القاهرة، ١٩٦٦م)، ص١٢٢؛ لومبار، الجغرافية التاريخية، ص٣٠٣.

(٦) الجنزوري، العلاقات البيزنطية الروسية، ص٥٥- ٥٦.

البيزنطية والضغط عليهم من اجل فتح اسواق القسطنطينية امام التجار الروس لا من اجل التوسع على حساب الدولة البيزنطية.

وقد انتجت هذه الحملات غايتها عندما اجبرت الدولة البيزنطية على عقد معاهدة سلام مع الروس على اثر هجماتهم سنة (٢٩٥هـ/٩٠٧م)، تعهدوا بموجبها على دفع الجزية واعفاء التجار الروس من الضرائب في تعاملاتهم التجارية ومعاملتهم بشكل حسن مع توفير السكن والمؤنة لهم، وبهذه المعاهدة وضع الحجر الاساس في طريقة التعامل التجاري بين الدولتين، وفي سنة (٢٩٩هـ/٩١١م)، اجريت اضافات على المعاهدة السابقة، اصبح على اساسها للروس امتيازات تجارية مهمة داخل الدولة البيزنطية[١]، الا ان ضغف الروس في عهد الامير ايغور ادى الى عقد هدنة بين الطرفين سنة (٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)، تبين فيها قوة الدولة البيزنطية فقد قلصت الامتيازات التجارية للتجار الروس وضمنت فيها ادامة التجارة بين الطرفين[٢].

ان نجاح الامير اوليغ الروسي في فتح هذا الطريق التجاري باتجاه البحر الاسود، حقق للامارات الروسية ارباحا طائلة ساهمت في تطورها واندفاعها بشكل اقوى الى تنشيط التجارة في كل الاتجاهات، كما ويبدو ان الدولة البيزنطية ليست بهذه الدرجة من الضعف خاصة وانها دولة عريقة ترتبط بشبكة علاقات قوية في المنطقة التي جاء اليها الروس ممكن ان تستخدمها لصالحها بتأليب القبائل والدول القاطنة لهذه المنطقة ضد الروس، وانما كانت استجابتها لمطالب الروس تصب ايضا في مصلحتها لعوامل عدة منها ضعف النفوذ البيزنطي في جنوب فرنسا والتوسع الاسلامي في الشرق الادنى وضعف كيان دولة الخزر الحليف القوي لبيزنطة بسبب الهجمات الاسلامية من الجنوب والروسية من الشمال في نفس الوقت، كل هذه الامور وغيرها دفعت بيزنطة الى ايجاد حليف جديد وخاصة في التجارة لاهميتها فكانوا الروس هم الحل لذلك وافقوا على بنود المعاهدة بين الدولتين.

عموما كان للتجارة الروسية اثناء العصور الوسطى دور مهم فقد اصبحت لهم فعاليات تجارية واسعة وامتدت متاجرهم في كل بلاد المسلمين في بغداد والاندلس ودمشق ومع الفرنجة واواسط اسيا والصين[٣]، والخزر والبلغار والبيزنطيين[١]، والبحر الاسود وخليج

(١) الجنزوري، العلاقات الروسية البيزنطية، ص٦٦-٦٧؛ ابسيس، العلاقات البيزنطية الروسية، ص١٨٤.

(٢) الجنزوري، العلاقات الروسية البيزنطية، ص٨٤-٨٧.

(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٤- ١٥٥.

القسطنطينية الى روما غربا[٢]، وعلى ما يبدو ان التجار الروس قد احتكروا مايجري من نشاط تجاري بين شمال وشرق اوربا وبين العواصم الكبرى مثل القسطنطينية وبغداد وروما واتل[٣].

وتوجه النشاط التجاري البيزنطي الى الانهار الروسية حيث نشطت تجارة الرقيق بين الصقالبة، وازدادت اهمية التجارة حول مصب نهر الراين[٤]، واصبحت القسطنطينية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي من اهم المراكز التجارية في العالم المسيحي وجذبت اليها تجار اوربا وبلاد الاسلام والهند والصين[٥]، وقامت بدور الوسيط التجاري بين الدولة العباسية والغرب المسيحي[٦].

ومن اهم السلع التي كان يحملها الروس الى القسطنطينية الفراء والعسل والرقيق، حيث يبدلونها بالخمور والمجوهرات والاقمشة والادوات الزجاجية[٧]، والشمع الروسي الذي كان مطلوبا للكنائس كما كان الروس يبيعون ضحايا غاراتهم من الرقيق في اسواق القسطنطينية[٨]، ومنح البيزنطيين الروس امتيازات منها جعلوا لهم حيا تجاريا في القسطنطينية اضافة الى بعض المكافأت التي تعطى للتجار الروس[٩].

كما ارتبط الروس بعلاقات تجارية مع الخزر[١٠]، الذين اشتهروا بنشاطهم التجاري انذاك، من خلال طريقين تجاريين الأول ينطلق من بلاد الروس إلى نهر الدنيبر ومنه إلى البحر الاسود، ومنها يتجهون إلى خرسون، حيث تجري العمليات التجارية فيها بشراء الخزر منتجات الروس[١١]، وبيع الخزر لمنتجات الشرق الادنى من الحرير وغيره، والبضائع

(١) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٣٢.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٣١٧/٢؛ وكتابه التنبيه والاشراف، ص١٤٠- ١٤١.

(٣) الجوهري، الكشوف الجغرافية، ص١١٠؛ عبدالرحمن، تاريخ القوقاز، ص٣٩.

(٤) الباز العريني، الحضارة والنظم الاوربية، ص٩٣.

(٥) الربيع، حسنين محمد، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية(القاهرة، ١٩٩٣م)، ص١٦٠- ١٦١.

(٦) لومبار، الاسلام في مجده الاول ، ص٣٣٩.

(٧)Vernadsky, history, pp. 33- 46.

(٨) ستيفن، رانسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد، مكتبة النهضة(القاهرة، ١٩٦١م)، ص٢٤٠.

(٩) الجنزوري، العلاقات البيزنطية الروسية، ص٥٩.

(١٠) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٣٢؛ المسعودي، مروج الذهب، ١/ ٢٠٥.

(١١) العريني، الدولة البيزنطة، ص٢٩٠.

البيزنطية على التجار الروس[١]، بعدها يقوم الخزر بنقل البضائع والمنتجات الروسية إلى مدينتهم اتل والى بغداد[٢]، والتي من اشهرها العسل شمع العسل وجلود الخز والوبر[٣]، فضلا عن جلود الثعالب[٤]، والرقيق[٥]والسيوف[٦].

واهم مدن الخزر التي يتاجر معها الروس هي أتل وسراي وسمندر[٧]، وشكل الخزر عائقا للعلاقات التجارية بين الامارات الروسية، خاصة بعد ان قام الخزر بمساعدة الدولة البيزنطية ببناء حصون عسكرية على طول مجرى نهري الدون الاسفل والدونتز في الشمال والجنوب، وبذلك تمت لهم السيطرة على الطرق المؤدية الى الانهار الروسية والى الشمال في شبه جزيرة تمان ومدينة خرسون، لكن تمكن الامير سفياتوسلاف من ارسال قوة الى الخزر فتمكن من اعادة فتح طرق التجارة مجددا[٨].

وقد ظلت مدينة خرسون محتفظة باهميتها التجارية تجاه الخزر إلى حين تعرضهم لهجمات الروس في الربع الاول من القرن الرابع الهجري/ منتصف القرن العاشر الميلادي، على اثرها ضعفت اهمية خرسون التجارية، لسيطرة الروس على اغلب تجارة البحر الاسود[٩]، اما الطريق الثاني فقد كان الروس يسلكونه من خلال البحر الرومي (ازوف) فكان ملك الروم ياخذ منهم العشر، ثم يتجهون بواسطة نهر الصقالبة أو تنيس (الدون) إلى نهر اتل منتهين بمدينة اتل، حيث يقوم خاقان الخزر بتعشيرهم[١٠]، وتلك أول اشارة إلى استخدام

(١) لويس، ارشيبالد، القوة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: احمد محمد عيسى، مراجعةوتقديم: محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية ومؤسسة فرانكلين للنشر(القاهرة – نيويورك، ١٩٦٠م)، ص٢٥.

(٢) العريني، الدولة البيزنطية، ص٢٩٠.

(٣) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٣٠ ؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٣٢.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٤٥؛ ابن الفقيه الهمداني، ابو بكر احمد بن ابراهيم(ت ٣٦٥هـ/٩٧٦م) مختصر كتاب البلدان، (ليدن : ١٨٨٥)، ص٢٧٠.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٣٤؛ الحموي، معجم البلدان، ٢ / ٣٦٨.

(٦) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٤.

(٧) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص١٤٩؛ الحموي، معجم البلدان، ٣٦٧/٢.

(٨)Vernadsky, history, p. 30؛

الدوري، الجغرافيون العرب، ص١٠.

(٩) لويس، القوة البحرية والتجارية، ص٣٣٧ – ٣٣٨.

(١٠) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٤؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٢٧١.

بحر ازوف كطريق تجاري[1]، وقد شكلت تجارة الروس اهمية لكل من بيزنطة والخزر بما كان يدفعه الروس من رسم أو ضريبة (ترانزيت) لمرور تجارتهم من خلال املاك الدولتين[2].

وقد كان للروس علاقات تجارية مع بلغار الفولغا وكانت مدينتهم بلغار الواقعة عند ملتقى نهري كاما والفولغا تمثل اكبر مركز تجاري لالتقاء التجارة الروسية مع مناطق شرق اوربا خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[3]، وكانت الجلود البلغارية من البضائع المشهورة الداخلة في التجارة الرائجة في الاسواق الروسية، فقد كان البلغار يصدرون الجلود المدبوغة والتي يصنع منها النعال والاحذية الى الروس الذين اخذوا فن الدباغة عنهم[4].

كذلك ارتبط الروس بصلات تجارية مع القبائل القاطنة شرق اوربا كالبجناك الذين شكلوا عائقا بين تجارة الروس والبيزنطيين ولم يستطع الروس التجارة مع البيزنطيين الا اذا كانوا في سلام مع البجناك لأن الروس يستوردون منهم الماشية والاغنام والخيول[5].

ويصدر البرطاس فرو الثعالب السود الذي كان يعد من اغلى واجود انواع الفراء، وكانت تجارتهم تحمل بطريق خرسون ومن برطاس تسير بالطرق الموازية للانهار مارة ببلغار وكييف لتنتهي الى أتل وشواطئ بحر قزوين ثم الى طبرستان والري، وكذلك توجد طرق اخرى تربط سهوب البرطاس وبلغار مباشرة بخوارزم[6]، كما كان يتفرع من كييف طريق بري يتوجه الى بوهيميا والمانيا، حيث امتد النشاط التجاري للروس الى مدينة براغ وكانوا ياتون اليها محملين بالبضائع كالجلود المختلفة والقصدير والتوابل والرقيق[7].

وهناك الكثير من الاشارات في المصادر الاسلامية عن الصلات التجارية بين الروس والمسلمين، فقد كان التبادل التجاري بينهما يتم اما عن طريق خوارزم او يتوجه مباشرة الى بغداد، واحيانا يسلكون سبيل البر من الاندلس او اراضي الفرنجة باحد الطريقين، ومنها الى

---

(١) عبد العزيز الدوري، الجغرافيون العرب وروسيا، ص١٤.

(٢) ابن خرداذبة ،المسالك والممالك، ص١٥٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ٢/١٤؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص٣٣٢.

(٣) لومبار، الاسلام في مجده الاول، ص٦٩.

(٤) بارتولد، فاسيلي فلاديمير، تاريخ الترك في اسيا الوسطى، ترجمة: احمد السعيد سليمان وابراهيم صبرة، مكتبة الانجلو المصرية(القاهرة، ١٩٥٨م)، ص٦٧.

(٥) بروفيروجنيتيوس، ادارة الامبراطورية البيزنطية، ص٣٥.

(٦) المسعودي، مروج الذهب ، ٢/١٤؛ وكتابه التنبيه والاشراف، ص٦٢– ٦٣.

(٧) زيغريد، شمس العرب، ص٢٩.

الاهواز وفارس والهند والسند ثم الصين، والطريق الاخر عبر الاراضي السلافية وراء بيزنطة الى خمليج ثم بحر جرجان ثم بلخ وبلاد ماوراء النهر واواسط اسيا الى الصين[١].

وكانت التجارة الروسية مع المسلمين في خوارزم تتم عن طريق بلغار الفولغا فالقوافل متصلة بين خوارزم وبلاد البلغار، ويتضح ذلك من خلال القائمة التي يوردها لنا المقدسي عن التبادل التجاري بين خوارزم والبلغار والروس مثل القاقم والسنجاب والسمور وجلد الخز والقلانس والثعالب، وغراء السمك والعسل والبندق والسيوف والدروع والرقيق الصقلبي والاغنام والابقار والارانب البرية المرقشة، والحديد والمراكب المصنوعة من خشب البتولا ونبات الخروع وخشب القيقب[٢]، فكانت خوارزم محطة مهمة لتجارة المسلمين مع الروس والترك بسبب مرور الرقيق الصقلبي والفراء بطريق خوارزم[٣]، ولانها تسيطر على الطرق المؤدية الى الانهار الروسية وبلاد الترك والهند والصين، وكان التجار المسلمين يذهبون عن طريق نهر الفولغا او برا بصعود النهر[٤].

واستورد الروس الاسلحة الفولاذية من دمشق[٥]، ونشطت التجارة الاسلامية في القفقاس وخاصة ارمينية، فكانت مدينة برذعة ودربند وتفليس اهم مدن المسلمين نشاطا في التجارة مع مدن اوربا الشرقية، ومن اهم السلع التجارية التي كانت تصدر من هذه المدن الحرير والنسيج القطني والسجاد والصبغ الاحمر والفرو والفواكه والعسل والسمك والخيول والحمير والخراف، وكانت دربند تستورد الرقيق الصقلبي باعداد كبيرة لتصديره الى الشرق، كما ادت مدينة الري دورا بارزا في التجارة مع الروس فقد كانت تستورد منهم الفراء والسيوف[٦].

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٤؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٢٧١؛ لومبار، الجغرافية التاريخية، ص٣٠٣.

(٢) المقدسي، محمد بن احمد بن ابي بكر(ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م)، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مطبعة كريل(ليدن، ١٩٠٦م)، ص٣٦٤– ٣٦٥.

(٣) لومبار، الاسلام في مجده الاول، ص١٧٥.

(٤) ابن حوقل، صورة الارض، ص٤٦٥.

(٥)vernadsky, history, p.46.

(٦) لومبار، الجغرافية التاريخية، ص٢٩٩؛ وكتابه، الاسلام في مجده الاول، ص٥٣؛ عبداللطيبوف، رمضان، مصائر الاسلام في روسيا تاريخ وافاق، ترجمة: يوسف سلمان، ط١، دار المدار الاسلامي(بيروت،٢٠٠٧)، ص١٢٨.

واخيرا وليس اخرا نشاط الروس التجاري الواسع مع الاندلس والتي كانت تتلقى تجارة الرقيق والزمرد(١)، وغير ذلك من السلع التجارية فقد كان ملوك الفرنجة والاندلس والروس يتنافسون في اجودها، وكانت توجد طرق ومسالك برية للروس في تجارتهم مع المانيا وفرنسا والاندلس وبلاد المغرب، ووصلت منتجات الانهار الروسية والجهات الواقعة على بحر الشمال غربا الى بريطانيا، واشتد اهتمامهم بالتحارة فنشطت صناعة السيوف والاواني الخزفية، اما مع فرنسا فقد كانت تجارة الرقيق الصقلبي من اهم السلع التجارية التي كانت تصدر لها(٢).

الخاتمة

ان مسالة الاصول التاريخية لاي شعب امرا يواجه به الباحث صعوبات جمة، خاصة اذا كانت دراسة ذلك الشعب يكتنفها بعض الغموض، وينطبق هذا القول على دراسة الاصول التاريخية للروس، بسبب قلة ماكتب عنهم قديما وحديثا فالمعلومات التي ترد عنهم لم تكن سوى شذرات مبعثرة في بطون الكتب، ولانه شعب خليط تكون سياسيا من تحالف او تنظيم العديد من القبائل الصقلبية شبه البدوية، والمهاجرين الذين جاءو من البلاد الاسكندنافية فتسمية الروس ظهرت بعد تكوين الدولة الروسية في القرون الوسطى وليس قبلها.

والملاحظ من جميع العلاقات التي ربطت الروس بغيرهم ان اكثرها حيوية كانت مع الدولة البيزنطية فقد تدرجت العلاقة فيما بينهما، من هجمات متكررة الى علاقات عسكرية ودبلوماسية اضافة الى العلاقات التجارية، وفتح بيزنطة لاسواقها امام الروس، واستنادا إلى ما ذكر يتضح ان دولة الروس كانت احادية الركيزة باعتمادها على النشاط التجاري بشكل كبير في رفد جوانب الدولة الاخرى الحضارية والعسكرية والادارية، والذي فرضه عليها موقعها الجغرافي المتميز فبلغت تجارتهم نطاقا واسعا شمل اسيا والمحيط الهندي والصين والدولة الاسلامية، حتى الغرب اللاتيني وبلاد الاندلس غربا.

(١) المسعودي، مروج الذهب، ٢/٥٤.

(٢) هونكة، شمس العرب، ص٢٩؛ العريني، الحضارة والنظم الاوربية، ص٩٥.



طرق التجارة الرئيسية في العصور الوسطى
نقلاً عن: العدوي، الدولة البيزنطية، ص 71.

The Commercial Activity Of The Russian Emirates Until The Mid Of The Fourth Century AH - Tenth Century AD

Dr.Imad Kamel Merhi

Abstract

The events of history witnessed movement of peoples and groups displaced from their native lands to new areas that settled in them, making them a homeland and carrying with them the elements of their first life. They preserved what benefit them in their new life and acquired what they found suitable for survival and development of the new civilization of the country in which they settled. One of these moves is the displacement of people from which the people of the Russians were formed in the medieval and modern term from the far north of the world (now Sweden and neighboring it) to the regions of the Don River, the Dnieper and the Russian steppe in Eastern Europe.